(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف:١٧٩-١٨١]

الشيخ: إلى هنا، سبحان الله، سبحان الله، لا إله إلا الله.

يخبر -تعالى- أنه خلقَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، خلقهم لِيَصيروا بحكمتِه وعدلِه إلى جهنَّم، {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ}، جهنَّم: النارُ التي أعدَّها الله للكافرين، كثيرًا، بل هم الأكثر، بل هم أكثرُ الجِنِّ والإنسِ، أكثرُ الجِنِّ والإنسِ هم من هذا الصنف، أعوذ بالله، خُلِقُوا للنارِ، {لَهُمْ قُلُوبٌ} لَهُمْ قُلُوبٌ: لهم عقولٌ، لكنَّهم {لَا يَفْقَهُونَ بِهَا}، لَا يَفْقَهُونَ حُجَجَ الله، لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ما يُنَجِّيهِم من عذابِ الله، {وَلَهُمْ أَعْيُنٌ} لكنَّهم لا يُبصرونَ بها آياتِ الله التي نصبَها دلائلَ على ربوبيتِه وإلاهيتِه وحكمتِه، {وَلَهُمْ آذَانٌ} لكنَّهم {لَا يَسْمَعُونَ بِهَا} ما يُتْلَى عليهم من آياتِ الله المنزَّلة، لا يسمعونَ بها سماعَ قبولٍ وإلا فعيونُهُم ترى ليسوا عُمْيًا معدومي البصر، لا، لهم عيونٌ، ولهذا صاروا في حكمِ، بل وصفَهم الله بأنهم صمٌّ، {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} وهذا صَمَمُ القلوبِ وعمى البصائر، كما قال -سبحانه-: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} فَهُمْ لَا يَفْقَهُون {وَعَلَى سَمْعِهِمْ} فهم لا يسمعونَ آياتِ اللهِ {وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} [البقرة:٧]، والقرآن يُفَسِّرُ بعضُه بعضًا، فتلكمُ الآية هي تفسير لهذه الآية، {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ} التي لا تَعِي ولا تهتدي، {بَلْ هُمْ أَضَلُّ} بل هم أضلُّ من الأنعام، أضلُّ من الإبلِ والبقرِ والحميرِ والحيواناتِ، {بَلْ هُمْ أَضَلُّ} والآياتُ في هذا المعنى متعددة؛ يقول -تعالى-: {يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ} [مُحَمَّد:١٢] يأكلون كما تأكلُ، تأكلُ بداعي الشهوةِ البهيميَّة، وهكذا الكفار، ومن المسلمين مَنْ لهُ شَبَهٌ في بعض الجوانب بالكفار، لهم شَبَهٌ بهم في بعضِ أخلاقِهم وأحوالِهم، أما أهلُ الإيمان فهم على النقيضِ منهم، فهم يتفكّرون في آيات الله، لهم قلوبٌ يفقهونَ بها، وهم يستمعونَ لآياتِ الله، وهم ينظرونَ إلى آيات الله الكونية ويتفكّرون فيها كما وصفهم الله في قوله: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران:١٩١]

قال -تعالى-: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} الله -تعالى- له كلُّ الأسماء الحسنى، وجميعُ أسماءه الحسنى دالةٌ على الكمال، فكلُّ اسمٍ يدلُّ على معنى وعلى صفةٍ من صفاته، "حسنى" أفعلُ تفضيلٍ يعني: له الأسماء

التي هي أحسنُ الأسماء، وأكملُها، وأعظمُها دلالةً على الكمال، {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} يعني سمُّوه بها وادعوه بها: "يا الله، يا رحمن، يا حيّ يا قيوم"، {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ} بها أَعْرِضُوا عنهم واتركوهُم واهجروهُم، {يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} بالتعطيلِ والتحريفِ، {سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} سيجدُ هؤلاء الملحدون في أسماءِ الله سيجدون جزاءَ عملِهم، {سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

ثم قال -تعالى-: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} فلمَّا ذكرَ الصِّنفَ السيئ والصنفَ الذي هو الغالب على الجنِّ والإنس، ذكرَ أن ممَّنْ خلقَه الله من هو على ضدِّ ذلك، وهم الذين {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}، {يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ} يهتدون وبه يحكمون {وَبِهِ يَعْدِلُونَ}، وهؤلاء هم أولياءُ الله وعبادُه وأنبياؤُه ورسلُه ومَن سارَ على طريقِهم، {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} فالناسُ فريقان، {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [التغابن:٢] نعم يا مُحَمَّد!

(تفسير السعدي)

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى-:

يَقُولُ -تَعَالَى- مُبَيِّنًا كَثْرَةَ الْغَاوِينَ الضَّالِّينَ،

الشيخ: نسأل الله العافية

القارئ: الْمُتَّبِعِينَ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا} أَيْ: أَنْشَأْنَا وَبَثَثْنَا

الشيخ: بَثَثْنَا وَنَشَرْنَا، فهم كثيرونَ، وشاهدوا هذا الواقع، الواقع في الماضي والحاضر الآن، الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا للإسلام، على المسلم أن يتذكَّر هذه النعمة، ويسألَ ربَّه، يسألُ ربَّه الثبات على هذه العقيدة وعلى هذا الدين، الله أكبر، إنها النّعمة، {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [المائدة:٥٤] نسأل الله الذي هدانا للإسلام أن يُثبتنا عليه حتى نلقاه، نعم.

القارئ: {لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ} صَارَتِ الْبَهَائِمُ أَحْسَنَ حَالَةً مِنْهُمْ.

{لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا} أَيْ: لَا يَصِلُ إِلَيْهَا فِقْهٌ وَلَا عِلْمٌ، إِلَّا مُجَرَّدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ.

{وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا} مَا يَنْفَعُهُمْ، بَلْ فَقَدُوا مَنْفَعَتَهَا وَفَائِدَتَهَا.

الشيخ: ينظرون إلى الآيات الكونيَّة نظرَ البهائم، لهذا مِن الخِذلان أنَّ كثيرًا من الناس ينظرُ إلى الآياتِ نظرَ ما يسمى بالتفرُّجِ، يريدُ يتمتَّعُ بالمناظرِ، ولعلَّ كثيرًا من أولئك لا يُسَبِّحُ بحمدِ الله عندما يشاهد هذه الآيات، بل همتُه منصرفةٌ إلى المتعة، متعةُ المناظرِ الجميلةِ، "المناظرُ الطبيعيةُ" كما يقولون، "المناظر الطبيعية"، فهمتُهُ منصرفةٌ إلى الفُرْجَةِ إلى المتعة، وهذه آياتُ الله، اللهُ خلقَها؛ لتكونَ دلائلَ على ربوبيتِه وإلاهيتِه وإلى حكمتِه، دلائلَ على قدرتِه، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الرعد:٣] يَتَفَكَّرُونَ فيما وراءَ هذه المخلوقات، وهذا موضوعٌ عظيمٌ يطولُ القولُ فيه.

القارئ: {وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا} سَمَاعًا يَصِلُ مَعْنَاهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ.

{أُولَئِكَ} الَّذِينَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْقَبِيحَةِ {كَالْأَنْعَامِ} أَيِ: الْبَهَائِمِ، الَّتِي فَقَدَتِ الْعُقُولَ، وَهَؤُلَاءِ آثَرُوا مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى، فَسُلِبُوا خَاصِّيَّةَ الْعَقْلِ.

{بَلْ هُمْ أَضَلُّ} مِنَ الْبَهَائِمِ؛ فَإِنَّ الْأَنْعَامَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ، وَلَهَا أَذْهَانٌ، تُدْرِكُ بِهَا، مَضَرَّتَهَا مِنْ مَنْفَعَتِهَا، فَلِذَلِكَ كَانَتْ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُمْ.

{أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} الَّذِينَ غَفَلُوا عَنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ،

الشيخ: غَفَلُوا عمَّا خُلقوا له، غَفَلُوا عن خالقهم، غَفَلُوا عن مبدئِهم، غَفَلُوا عن مصيرِهم ومُنتهاهم، غافلون عن كلِّ هذه الأمور، {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} [يونس:٧] غَافِلُونَ عن آياتِ الله، غَافِلُونَ عن الآخرة، غَافِلُونَ عن حقيقةِ هذه الدنيا، وأنها دارُ ابتلاء، وأنها دارٌ مآلُها إلى الفناءِ، نعم.

القارئ: غَفَلُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَذِكْرِهِ.

خُلِقَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ وَالْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ؛ لِتَكُونَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَحُقُوقِهِ،

الشيخ: يا الله، يا الله

القارئ: فَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى ضِدِّ هَذَا الْمَقْصُودِ.

فَهَؤُلَاءِ حَقِيقُونَ بِأَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ ذَرَأَ اللَّهُ لِجَهَنَّمَ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، فَخَلَقَهُمْ لِلنَّارِ، وَبِأَعْمَالِ أَهْلِهَا يَعْمَلُونَ.

الشيخ: أعوذ بالله

القارئ: وَأَمَّا مَنِ اسْتَعْمَلَ هَذِهِ الْجَوَارِحَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَانْصَبَغَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَلَمْ يَغْفُلْ عَنِ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ، أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَبِأَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ.

{وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

هَذَا بَيَانٌ لِعَظِيمِ جَلَالِهِ وَسِعَةِ أَوْصَافِهِ، بِأَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، أَيْ: لَهُ كُلُّ اسْمٍ حَسَنٍ، وَضَابِطُهُ: أَنَّهُ كُلُّ اسْمٍ دَالٍّ عَلَى صِفَةِ كَمَالٍ عَظِيمَةٍ، وَبِذَلِكَ كَانَتْ حُسْنَى، فَإِنَّهَا لَوْ دَلَّتْ عَلَى غَيْرِ صِفَةٍ، بَلْ كَانَتْ عَلَمًا مَحْضًا لَمْ تَكُنْ حُسْنَى

الشيخ: كما يقولُ المعتزلة، المعتزلةُ يقولون: أسماءُ الله كالأعلام المحضة [...] فهي لا تدلُّ على صفاتٍ لا تدلُّ على معنًى، فيُرَدُّ عليهم أنها لو كانت هكذا ألفاظًا لا تدلُّ على معانٍ لم تكُنْ حُسنى، لم تكن حَسَنة، فضلًا أن تكون حُسْنى، نعم.

القارئ: فَإِنَّهَا لَوْ دَلَّتْ عَلَى غَيْرِ صِفَةٍ، بَلْ كَانَتْ عَلَمًا مَحْضًا لَمْ تَكُنْ حُسْنَى، وَكَذَلِكَ لَوْ دَلَّتْ عَلَى صِفَةٍ لَيْسَتْ بِصِفَةِ كَمَالٍ، بَلْ إِمَّا صِفَةَ نَقْصٍ أَوْ صِفَةً مُنْقَسِمَةً إِلَى الْمَدْحِ وَالْقَدْحِ، لَمْ تَكُنْ حُسْنَى، فَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ الصِّفَةِ الَّتِي اشْتُقَّ مِنْهَا، مُسْتَغْرِقٌ لِجَمِيعِ مَعْنَاهَا.

وَذَلِكَ نَحْوُ "الْعَلِيمِ" الدَّالِّ عَلَى أَنَّ لَهُ عِلْمًا مُحِيطًا عَامًّا لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

وَ "كَالرَّحِيمِ" الدَّالِّ عَلَى أَنَّ لَهُ رَحْمَةً عَظِيمَةً، وَاسِعَةً لِكُلِّ شَيْءٍ.

وَ"كَالْقَدِيرِ" الدَّالِّ عَلَى أَنَّ لَهُ قُدْرَةً عَامَّةً، لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَمِنْ تَمَامِ كَوْنِهَا "حُسْنَى" أَنَّهُ لَا يُدْعَى إِلَّا بِهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ: {فَادْعُوهُ بِهَا} وَهَذَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ، وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، فَيُدْعَى فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْمَطْلُوبَ، فَيَقُولُ الدَّاعِي مَثَلًا: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَتُبْ عَلَيَّ يَا تَوَّابُ، وَارْزُقْنِي يَا رَزَّاقُ، وَالْطُفْ بِي يَا لَطِيفُ" وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أَيْ: عُقُوبَةً وَعَذَابًا عَلَى إِلْحَادِهِمْ فِي أَسْمَائِهِ، وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ الْمَيْلُ بِهَا عَمَّا جُعِلَتْ لَهُ

الشيخ: يعني عما جُعِلَتْ دالةً، أو عمَّا دلَّتْ عليه، الميل بها عما..، مَدلولاتها، نعم.

القارئ: إِمَّا بِأَنْ يُسَمَّى بِهَا مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، كَتَسْمِيَةِ الْمُشْرِكِينَ بِهَا لِآلِهَتِهِمْ، وَإِمَّا بِنَفْيِ مَعَانِيهَا وَتَحْرِيفِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهَا مَعْنًى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ، وَإِمَّا أَنْ يُشَبَّهَ بِهَا غَيْرُهَا، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُحْذَرَ الْإِلْحَادُ فِيهَا، وَيُحْذَرَ الْمُلْحِدُونَ فِيهَا، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).

وقوله: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}. أَيْ: وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ فَاضِلَةٌ كَامِلَةٌ فِي نَفْسِهَا، مُكَمِّلَةٌ لِغَيْرِهَا، يَهْدُونَ أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ بِالْحَقِّ

الشيخ: يعني هُداةٌ ومهتدون، هداةٌ للبشرِ للعبادِ، وهم مُهتدون في أنفسهم، كالعبدِ الصالحِ المصلحِ، العبد الصالحُ المصلِح، هاديّ مَهديّ مُهتدي، واجعلْنا هداةً مُهتدين، اجعلْنا هداةً للحقِّ ودعاةً للخير، ومُهتدينَ به عاملينَ به، نعم.

القارئ: فَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وَيُعَلِّمُونَهُ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْعَمَلِ بِهِ.

{وَبِهِ يَعْدِلُونَ} بَيْنَ النَّاسِ فِي أَحْكَامِهِمْ إِذَا حَكَمُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالدِّمَاءِ وَالْحُقُوقِ وَالْمَقَالَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَئِمَّةُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَهُمُ الصِّدِّيقُونَ الَّذِينَ مَرْتَبَتُهُمْ تَلِي مَرْتَبَةَ الرِّسَالَةِ، وَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ كُلٌّ بِحَسَبِ حَالِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ يُخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

الشيخ: إلى هنا، جزاك الله خيرًا، بارك الله فيك.